

أطفال يدفعون الثمن

جاءهم خبر قتله !!

الذين فقدوا حنان الأبوة مبكراً وتجرعوا منقوع النار فانهم الآن لا يفكرون بشيء مثلما يفكرون بالنار لوالدهم. واحد من أبناء عمومته قال «أكبر أطفال العزبي يفكر كالرجال.. ويتمنى اليوم الذي سيثار فيه لأبيه» انه جحيم طويل الأمد يعيشه الأبناء على خلفية التركة التي خلفها الأباة يساعد في لهيبها ما تمارسه الأسر من حشو وتلقين للحقد وزرع الرغبة بالانتقام. بل وربطها بالرجولة فيشعر الأبناء بانها واجب يحملونه على عواتقهم ويجب أن يؤدونه مهما طال الزمن.

عواقب نفسية

هل يستطيع الفرد إنجاز أي عمل بالشكل المطلوب وهو في حالة قلق طارئ؟ اعتقد أن الإجابة ستكون «لا» فعندما تكون في حالة قلق أو اضطراب نفسي طارئ نشعر بأن كل شيء من حولنا في حالة عدم استقرار ومجافي للطريق الصحيح وقد نعبد النظر في ترتيب الأشياء المرتبة.. اننا غير قادرين على الاستمرار في هذه الحياة ونسعى للخروج منها عبر أقصر الطرق هذا ونحن في حالة ضعف وتعرض لحالة طارئة ربما كانت نتيجة لضغط في العمل أو خلاف عائلي بسيط أو حالة افلاس قصيرة المدى، أما في حالة تحمل قضية بحجم النار مرتبطة بحياة أو موت أشخاص فإن الشخص يظل في حالة اللا تركيز وهذا يعكس سلباً على تصرفاته وانتاجه.

يقول الباحث، عبدالسلام العبيسي - ماجستير علم اجتماع- الضغوط الاجتماعية التي تمارس ضد الفرد المتحمل لقضية النار تجعله في حالة اهمال لكل شيء قد تصل إلى اهماله لحالته الصحية وهذا يعكس سلباً على الفرد والمجتمع»
انهم يفكرون فقط في كيفية الانتقام والوصول إلى الهدف الثأري وهذا يجعلهم خارج نطاق خدمة الأسر التي تنتظرهم. يقول أحد هؤلاء: «لقد ضيعنا كل شيء في سبيل النار ولا نستطيع الآن التخلي عن هذا الهدف».

هذا الرجل كنت أعرف أحد أقربائه هو العائل الوحيد لأربعة عشر شخصاً - عائلته وعائلة أخيه المقتول - أبناءه الكبار تركوا المدارس وذهبوا للبحث عن لقمة العيش بعد أن أهمل والدهم المحل التجاري الذي كانوا يفتاتون منه أما أبناء العائلة الثانية فقد تحمّلوا كلمات وجمل المجتمع المحيط بهم والذي دائماً يشجعهم على الثأر لوالدهم، أحد أقاربهم قال: «ما يعملونه عبث، بعد أن تركوا مدارسهم وفشلوا في الوصول إلى الجاني.. احترقوا الجلوس في الطرقات ومضايقة الجيران وارتكاب الأخطاء التي قادتهم أكثر من مرة إلى أقسام الشرطة»
والدهم التي كانت تطالبهم في يوم

□ أمهات ينتظرن أولادهن على أبواب المدارس خوفاً من الانتقام المجهول
□ أطفال يتذوقون اليتم وأباؤهم أحياء يرزقون

ما بالنار لوالدهم تصلي الآن من أجل صلاح أبنائها والتفافهم إلى آخواتهم الصغار وإلى البيت الذي يسكن الفقر جوانبه.. انها الآن مقتنعة من عدم جدوى الجري وراء أشياء لا تقود إلا إلى الهلاك وتعتقد أن الوقت لم يفت بعد، ربما فشلهم في الوصول إلى ما يبتغون ولد عندهم حالة نفسية سيئة انعكست على تصرفاتهم. تشير بعض الدراسات إلى أن مثل هذه القضايا تدخل الشخص في اضطرابات نفسية وتولد عنده شيئاً من التناقض في التصرفات والأفعال وتجعله غير مأمون الجانب حيث تصبح عنده رغبة في الاعتداء على الغير لأسباب تافهة وأحياناً يسعى هو لاختلاق بعض المبررات التي يراها مقنعة لارتكاب حماقات يشعر أنها تشبع رغبة ما في أعماقه، بينما هي تقوده إلى ضياع أكبر وتزيد حالته سوءاً وهذا ما يظهر جلياً على أبطال القصة السابقة حيث أصبح الناس يتجنبون الجلوس معهم أو التحدث إليهم ويوصون أبناءهم بعدم مخالطتهم أو الاحتكاك بهم. هذه الحالة تكرر في الكثير من القصص أما النادر منها فإن النتيجة تكون عكسية تماماً، إذ تشير ذات الدراسة أن في أحيان قليلة يصاب أطراف القضية وخاصة الصغار منهم بشيء من الخوف والتوجس يجعلهم يتجنبون مخالطة الناس ويميلون إلى الانطواء يفقدون الثقة بانفسهم وبالمجتمع ويمارسون الكبت على أنفسهم مما يولد عندهم بعض الأمراض العضوية كالإختلالات في ضغط الدم والام الصدر مثل تلك الحالات يحدث لها في النادر انفجار مفاجئ فتصبح عدوانية إلى أبعد الحدود وغير قابلة للتعايش مع أحد حتى الأقارب منهم.

الضحايا الأطفال

ما زال «عبدالله شمس الدين» يتذكر تلك الرصاصتين اللتين اخترقتا جسد صغيره لتضعاً حداً لحياته التي لم تكن قد بلغت السادسة. وما زال صغيراً جداً من الحزن والام ويقول بأسى: «لو أنه عاش لكان عمره الآن ثمان سنوات، بعد مرور سنوات يتخيل الآن عمر ولده ويتأمل أقرانه وهم يلعبون فتداهمه غصة تنتهي بدموع تسيل من عينيه ملؤها قهر وحسرة.. يلعن الثأر

وعواقبه ويعود إلى بيته متغير الوجه مفجوع الفؤاد يتأمل تلك المرأة التي مازالت تبكي صغيرها بحرقه فتكبر مأساته ويعظم همه، كم كان تعيس الحظ! ومك سيظل على هذه الحالة! يكر شريط الحادثة في مخيلته عدة مرات في اليوم لكن دون جدوى لا شيء يمكن أن يعيد ولده إلى الحياة ولا شيء سينجح في جعله يلهو بين أقرانه، فقد الرغبة في مزاوله عمله وزادت أيام تغييبه عن المدرسة التي يعمل بها مدرساً لمادة الكيمياء.. طقوسه اليومية اختلقت.. روحه المرحة اختفت.. أشياء كثيرة أصابها الدمار زاد من ذلك عدم انجابه مجدداً. الأطباء الذين زارهم أخبروه أن السبب هو الحالة النفسية والصحية السيئة التي يمر بها وأخبروه بقدرته على الإنجاب إذا تجاوز تلك الحالة، انه يفكر بجديفة في كيفية تجاوز حالته ومسح ذلك المشهد، لكن بلا فائدة فما زال يتذكر ذلك المشهد حينما كان محمد واقفاً لا يفهم معنى تلك الصيحات ولا أي ذنب اقترفه، لماذا كان يصرخ الناس ويجرون في الطرقات؟ هو فقط ظل واقفاً براءة الطفولة وجهلها لما يحدث حتى أتت غادرتان لم ترحما طفولته ولم تقرأ تلك الملامح المتسامحة التي كانت معبأة بالغرابة لما يحدث.

كان محمد طفلاً عاجزاً عن فهم ما يدور وسيظل كذلك.. سال دمه على الأرض وهو ما يزال عاجزاً عن معرفة الذنب الذي يجازى عليه.. ترى كم محمد أخذتهم طلائق ناربية مثل هذه؟!
انهم كثيرون بلا شك لكنهم متفرقون يعيشون حيث تشتعل فتنة النار. شمس الدين الذي سكنه الاضطراب والاكتئاب من يومها إلى الآن لا يعرف من الجاني حيث كان هناك تبادل لإطلاق النار ولم تستطع أجهزة البحث الجنائي تحسديد من أين أتت الرصاصات، وبغض النظر عن من القاتل فالطفل قد رحل تاركاً لنا سؤالاً بحجم الظاهرة.. إلى متى سيظل الأطفال يدفعون أرواحهم الطاهرة قرباناً للثارات؟!
هل نستطيع الإجابة وتحديد الزمن؟ في الوقت الحالي لا اعتقد فالمأساة مستمرة وأحدث ضحاياها الطفل عدي الذي لم يكمل سنته الثانية انه يرقد الآن في أحد المستشفيات الخاصة بعد أن اخترقت جسده الغض أربع طلائق ناربية لم تستح من طراوة جسده ولا صغر سنه.

لم يكن لوي يحمل مسدساً ولا رشاشاً ولم يكن متمترساً خلف أحد الجدران بانتظار ضحية. وما زال صغيراً جداً على حياكة المؤامرات والدسائس بل كان يلهو في حضن جدته التي أصدرت إحدى الطلقات النارية قراراً بإيقاف حياتها عند هذا الحد في فناء منزلها.
عدي زيد سبتان يتوجع الآن في سريريه جاهلاً الجرم الذي نال ما ناله



□ انهيار أسر وضياع أبنائها على خلفيات قضايا الثأر

جزءاً.. هو لم يدرك بعد أنه أكثر حظاً من جدته حيث أصابته أربع طلائق ناربية فقط لم تنه حياته.
حدث ذلك في مديرية كشر محافظة حجة حيث تشهد المنطقة قضية ثأر حية عمرها بضعة عشرة سنة راح ضحيتها ما يقارب عشرين قتيلاً وانعكست سلباً على أهالي المنطقة الذين فقدوا الأمان في مزارعهم وأسواقهم وشوارعهم حتى المدارس لم تخل من هذا الشبح حيث أغلقت أبوابها لمدة سنتين وحرمت التلاميذ من تعليمهم على ذمة قضايا الثارات بين عدد من القبائل.

طفل وأربع نساء

فقدت الشعور بالأمان بفقدانها الزوج قتيلاً في قضية ثأر لا تدري ملابسات بدايتها، زارهم الحزن ضيقاً ثم صار مقيماً عندهم وأصبح أحد أفراد العائلة من يمر وقت طويل على مقبل رب الأسرة حتى جاءت يد الثأر البيضة على الابن البكر ليتبع والده إلى الحياة الأبدية بغير ذنب أو جريمة.. كان عضاها وسندها في الحياة تعلق على عاتقه حماية أخواته الأربع وأخيه الصغير.. كان كلما مر يوم تأملت ملامحه بإمعان.. «انه يكبر.. سيأتي اليوم الذي اعتمد عليه، وتصلني من أجل ذلك وتقول: «يا الهي متى سيشتد عوده؟! كم تبقى من العمر؟

وهل سائل هنا إلى أن يصبح رجلاً راشداً يظلمنا بجناحه؟ كل أسئلتها وترقيها وشوقها قتلتهن رصاصة غدر جاءت في غير وقتها.. أي طامة جديدة وأطفالها من صدمة ما حدث، وعندما عادت الحياة تدب في أوصالها أيقنت بالضيق وأنها وأطفالها في غير مأمن وليس لها مقام في قريتها التي لا تبعد كثيراً عن العاصمة ولذلك قررت الرجيل.. شددت رحالها تاركة وراءها كماً هائلاً من الألم والفجعة والذكرى الموحشة في قرية ينشر سكانها الموت من أباريق النار.
جاءت إلى المدينة تطلب الأمان والهجعة والستر، أنها غير مستعدة لفقدان طفلها الذي لم يبلغ الثانية عشرة من العمر، لكن الخوف تمكن منها ومن أخواته الأربع.
تاهت منها الطمانينة بين أوراق ومواقف وصور غارقة في المشاعة، تصاحب طفلها في رحلته اليومية من البيت إلى المدرسة، بعد أن أصبح الولد الوحيد الذي تنظر إليه مجموعة نسوة برجاء وأمل..
انه الرجل الوحيد الذي يحق له حمايتهن، لكن الجميع يخشى من أوراق لم يكشفها القدر بعد.

قضية الأسبوع

Thu 15 Apr..2004
25/2/1425
No (14400)

الثأر

13